

نماذج من الرقي الأخلاقي

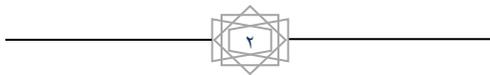
(١)

إعداد الدكتور

عبد العزيز بن عبد الله الحميدي

الأستاذ بجامعة أم القرى

والمدرس بالمسجد الحرام



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على
رسول الله..

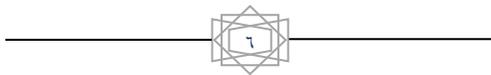
أما بعد: فهذه الرسائل التي هي
بعنوان «نماذج من الرقي الأخلاقي»
تهدف إلى إصلاح أفراد المسلمين
والسعي في تكوين مجتمعاتهم
الصالحة، والنهوض بهم نحو الرقي
الأخلاقي المنشود، وذلك من خلال

عرض نماذج من موضوعات
التواضع والرحمة والتربية والإحسان
وتقدير أهل الفضل والورع والزهد
والعدالة.. فالله أسأل أن يبارك في
الجهود وأن يحقق المقصود.



مواقف في التواضع





أمثلة من تواضع النبي ﷺ
رُويتْ أحاديث كثيرة في
تواضع النبي ﷺ وحثه على التواضع،
فمن ذلك ما أخرجه الحافظ الطبراني
من حديث عبد الله بن عباس رضي
الله عنهما: « أن رسول الله ﷺ كان
يجلس على الأرض، ويأكل على
الأرض، ويعتقل الشاة^(١)، ويجيب

(١) وقوله « ويعتقل الشاة » يعني ويحلب الشاة .

دعوة المملوك على خبز الشعير»^(١) .
فهكذا كان ﷺ في تواضعه في
حياته الاجتماعية ولم يكن كزعماء
فارس والروم في زخرفهم
ومظاهرهم في الجلوس والأكل، أما
حلب الشاة فإنه مظهر من مظاهر
التواضع الكبير، لأن الكبراء

(١) المعجم الكبير ٦٧/١٢ وانظر صحيح الجامع
الصغير رقم ٤٧٩١ .

لا يفعلون ذلك، وكذلك إجابة دعوة
الماليك ونحوهم من الفقراء .
ومن ذلك ما أخرجه الإمام
أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ
كان لا يأكل متكئاً ولا يطاء عقبه
رجلان»^(١) .

(١) مسند أحمد ١٦٥/٢ ، وانظر صحيح الجامع
الصغير رقم ٤٧١٦ .

فهذا الحديث يشتمل على
صفتين من صفات التواضع.
الأولى: أنه ﷺ كان لا يأكل
متكئا، وأكل الإنسان وهو متكئ له
سلبيات، منها أن الاتكاء من
جلسات الراحة، والإنسان وهو
يأكل من نعمة الله تعالى ينبغي له أن
يتواضع حتى يكون شاكرا لله جل
وعلا على نعمته، ومنها أن الإنسان
قد يتضرر من الأكل وهو متكئ،

لأنه يفقد الاعتدال في الجلسة الذي
يجعل مجرى الطعام غير طبيعي،
ولذلك قد يَشْرُق الإنسان بالماء إذا
شربه وهو متكئ .

الثانية: أنه ﷺ لم يكن يطأ عقبه
رجالان ، بمعنى أنه لم يكن يأذن
للناس أن يمشوا خلفه، فهذا من
تواضعه الجُم ، فلو أنه أذن للصحابة
رضي الله عنهم أن يتبعوه لأوعب
أكثرهم خلفه احتراماً له وتعظيماً،

ولكنهم لم يكونوا يفعلون ذلك لما
يعلمون من كراهيته إياه .

ومن ذلك ما أخرجه الإمام
أحمد من حديث عائشة رضي الله
عنها «أن النبي ﷺ كان يخطط ثوبه،
ويخسف نعله، ويعمل ما يعمل
الرجال في بيوتهم»^(١) .

(١) مسند أحمد ٦/١٢١ .

فهذه أمثلة من تواضعه ﷺ،
حيث يقوم بشؤونه في البيت بنفسه
مع كثرة مشاغله والتزاماته، ومن
صفات العظمة في الرجل أن
لاتشغله الأمور الكبيرة عن الأمور
الصغيرة .

وكان ﷺ يتواضع لمن
يستخدمهم ويعاملهم بالعناية
والرعاية كما يعامل أبناءه كما جاء فيما
أخرجه الإمام أبو داود من حديث

أنس بن مالك رضي الله عنه قال:
«كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس
خلقا، فأرسلني يوما لحاجة، فقلت:
والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب
لما أمرني به نبي الله ﷺ، قال:
فخرجت حتى أمر على صبيان وهو
يلعبون في السوق فإذا النبي ﷺ
قابض بقفائي من ورائي، فنظرت
إليه وهو يضحك، فقال: يا أنيس
أذهب حيث أمرتك؟ قلت: نعم أنا

أذهب يارسول الله، قال أنس: والله
لقد خدمته سبع سنين- أو قال: تسع
سنين- ما علمت قال لشيء صنعت
لم أفعلت كذا وكذا؟ ولا لشيء تركت
هلا فعلت كذا وكذا»^(١).

وهل نجد مثلاً أعلى من هذا
في معاملة الخدم؟!!

(١) سنن أبي داوود رقم ٤٧٧٣ ، الأدب باب ١
(١٣٢/٥).

إن هذه المعاملة الكريمة تُشعر
الإنسان المستخدم بكرامته وإنسانيته
ولاتلغي وجوده في المجتمع كإنسان
يسهم في بناء المجتمع، والترقي به
نحو الكمال، وهو حينما يخدم أهل
النبيل والفضل فإنما هو تلميذ في
مدرسة تربوية أخلاقية ، ومن
المفترض أن يتخرج من هذه المدرسة
وهو أعلى ما يكون في سمو الفكر
ونبل الأخلاق .

من مواقف

أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه

من ذلك ما أخرجه الحافظ ابن
عساكر من خبر عبيد الله بن عمر بن
حفص: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حمل
قربة على عنقه، فقال له أصحابه:
يا أمير المؤمنين ما حملك على هذا؟
قال: إن نفسي أعجبتني فأردت أن
أذها^(١).

(١) تاريخ دمشق (٢٤/٣١٨).

فهذا السلوك قد جرى أيضًا
من صحابة آخرين، وهذا شاهد على
أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحاسبون
أنفسهم حتى على الخطرات، وأنهم
يحافظون على مستوى إيمانهم،
فيسعون إلى زيادته بالطاعات،
ويحذرون من نقصه بالمخالفات .

وأخرج الحافظ ابن عساكر من
خبر أنس بن مالك رضي الله عنه
قال: سمعت عمر بن الخطاب يوماً-

وخرجت معه حتى دخل حائطاً^(١)
فسمعته - يقول - وبينني وبينه جدار
وهو في جوف الحائط: عمر بن
الخطاب أمير المؤمنين بَخ، والله
لستقين الله بُنِّي الخطاب أو
ليعذبك^(٢).

(١) أي بستاناً.

(٢) تاريخ دمشق (٢٤٠/٢٤).

فهذا نوع من محاسبة النفس
وتذكيرها بيوم الحساب حتى لا تغتر
بالجاه الدنيوي، فإن الناس يوم
القيامة يبعثون مجردين من أموالهم
وجاههم، ولا يرافقهم إلا أعمالهم
الصالحة .

من مواقف

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

من ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير من خبر صالح بن أبي الأسود عمن حدثه أنه رأى علياً قد ركب حماراً ودلىّ رجله إلى موضع واحد، ثم قال: أنا الذي أهنت الدنيا ^(١).

(١) البداية والنهاية ٨ / ٥ .

وهكذا يشعر أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب رضي الله عنه
بالفرح لانتصاره على نفسه،
وظهوره بمظهر التواضع أمام
الناس وهو خليفة المسلمين .

إن مناصب الدنيا خداعة
غرارة، وإن فتنة الجاه بها أعظم من
فتنة المال، فلطالما رأى الناس
مسؤولين كانوا متواضعين قبل أن
يلوا، فلما تولوا مناصب كبيرة بدأ

التعاضم في نفوسهم شيئاً فشيئاً ،
حتى يكون من الصعب في آخر
الأمـر مخاطبتهم واللقاء معهم ، لكن
أولياء الله المتقين كلما ازدادوا رفعة
في المناصب الدنيوية زادوا تواضعاً
للناس ، وشعروا بالسرور وهم
يقومون بمظاهر التواضع التي تنفي
عنهم صفة التجبر والكبرياء .

ومن أخبار تواضعه رضي الله
عنه ما روي عنه أنه اشترى تمرًا

بدرهم فحمله في ملحفة، فقالوا:
نحمل عنك يا أمير المؤمنين، قال:
لا، أبو العيال أحق أن يحمل^(١).

فهذا مثل من تواضعه حيث
حمل متاعه بنفسه مع كونه أمير
المؤمنين ومع كبر سنه، فلم يرَ في
ذلك مسوغاً لقبول خدمة الناس له،

(١) الزهد للإمام أحمد / ١٣٣ .

وهو بهذا يجعل من نفسه قدوة
حسنة للمسلمين في التواضع، فلو
نازعتْ أحدَ الكبراءِ نفسهُ في تصور
العيب من حمل المتاع فإنه بتذكُّره
لموقف أمير المؤمنين علي رضي الله
عنه يزول ما في نفسه من ذلك ، ولو
اعترض على أحد المتواضعين
معترض فإن له من الاقتداء بأكبر
أمير على وجه الأرض ما يرد هذا
الاعتراض .

من مواقف

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

ذكر الحافظ ابن الجوزي من
خبر حبيب بن أبي ثابت قال : خرج
ابن مسعود ذات يوم فاتبعه ناس،
فقال لهم : ألكم حاجة؟ قالوا: لا،
ولكن أردنا أن نمشي معك، قال:
ارجعوا فإنه ذلة للتابع وفتنة
للمتبع^(١) .

(١) صفة الصفوة ١/٤٠٦ .

فهذا مثل على تواضع عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه ، وتعليه المذكور فيه
نوع من الفقه الدقيق لمداخل
الضعف في النفوس ، وتغليب
لجانب حفظ الدين وحمايته ، فكم
من مخدوع بتبعية الناس له ووطئهم
عقبه أضر بأخرته ولم يخرج من
الدنيا إلا بمقت الناس واحتقارهم ،
وعلى فرض محبة الناس للمتبوع فإن
ذلك تربية لهم على الذلة والخنوع .

من مواقف

عبد الله بن سلام رضي الله عنه

أخرج الإمام أحمد من خبر
عبد الله بن حنظلة أن عبد الله بن
سلام رضي الله عنه مرَّ في السوق وعليه حزمة
من حطب ، فقيل : أليس الله أعفأك
من هذا ؟ قال : بلى ، ولكن أردت أن
أدفع به الكبر ، سمعت رسول
الله صلَّى الله عليه وآله يقول : « لا يدخل الجنة من كان

في قلبه مثقال حبة من خردل من
كبر»^(١) .

وهكذا يقوم عبد الله بن سلام
رضي الله عنه بتطهير قلبه من مرض
من أكبر أمراض القلوب، حيث
يقوم بإذلال نفسه بذلك السلوك
الذي قام به حتى لا يتطرق إلى قلبه

(١) الزهد / ١٨٢ .

مثقال حبة خردل من كبر ، وكم هو
شعور الفرح لديه وهو يمارس ذلك
العمل الذي يحس معه بأنه قد نجح
في كبح جماح النفس عن الشرف
والجاه الرفيع !!

من مواقف

أبي هريرة رضي الله عنه

من ذلك ما ذكره الحافظ ابن
كثير من خبر ثعلبة ابن أبي مالك أن
أبا هريرة أقبل في السوق يحمل
حزمة حطب وهو يومئذ خليفة
مروان فقال: أوسع الطريق للأمير
يا ابن أبي مالك، قال فقلت:
أصلحك الله تُلقني هذا، فقال: أوسع

الطريق للأمير والحزمة عليه ^(١) .
فهذا مثل مما كان يقوم به
الصحابة رضي الله عنهم من مظاهر التواضع ،
إما للتهوين من شأن النفس إذا
أرادت أن تطمح لشيء من الجاه
والمنزلة في الدنيا، أو من باب
التعليم والقدوة الحسنة ليثبتوا

(١) البداية والنهاية ٨ / ١١٤ ، الزهد / ١٨٢ .

للناس أن المناصب لا تغريهم،
ولا تحملهم على شيء من العجب
والكبرياء.

وقد تكرر هذا المشهد من علي
ابن أبي طالب وسلمان وحذيفة بن
اليمان رضي الله عنهم وكلهم كانوا
- آنذاك - أمراء، ولقد أثبتوا لمن
عاصرهم من التابعين ولمن جاء
بعدهم أنهم أعلى تفكيرًا وأبعد
طموحًا من أن تؤثر عليهم مناصب

الدنيا، لأنهم إنما أرادوا الآخرة ،
ومن أراد الآخرة أهان من أجلها
الدنيا .

من مواقف

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

من أخبار عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في التواضع ما روي عن مجاهد رحمه الله قال: كنت أصحب ابن عمر رضي الله عنهما في السفر فإذا أردت أن أركب مسك ركابي، فإذا ركبت سَوَّى عليّ ثيابي، فرآني مرة كأني كرهت ذلك فيّ، فقال: يا مجاهد إنك لضيق الخلق،

وفي رواية قال: صحبت ابن عمر
وأنا أريد أن أخدمه فكان يخدمني^(١).
فهذه أخلاق عالية من العالم
الرباني عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما، حيث يقوم بخدمة تلاميذه ،
ولقد كانت هذه الأخلاق أصيلة فيه
حيث كان يصرُّ عليها، ويغضب

(١) البداية والنهاية ٩/ ٢٥٣ .

حينما تظهر الكراهية لذلك في وجوه
تلاميذه .

ولقد كان أهمّ الدوافع لتخلق
الصحابة وعامة الصالحين بتلك
الأخلاق الكريمة اهتمامهم الكبير
باكتساب الأعمال الصالحة، فهم
يتقربون إلى الله تعالى بالتواضع لمن
هو دونهم، وبهذه الأخلاق النبيلة
ربّوا مجتمعا صالحا خلّفهم في وراثة
هذا الدين وتبليغه لمن بعدهم .

من مواقف سلمان الفارسي رضي الله عنه

لقد كان لسلمان الفارسي رضي الله عنه

مواقف عالية في التواضع، فلقد كان

متواضعاً لله تعالى ولعباده المؤمنين،

ومن أمثلة تواضعه واهتمامه أنه لما

كان والياً على المدائن كان إذا

سجدت له العجم طأطأ رأسه

وقال: خشعت لله خشعت لله ^(١).

(١) سير أعلام النبلاء ١/٥٤٦.

وفي هذا تقرير للتوحيد
بالقول والعمل وتعليم لأولئك
الجاهلين بأمر الله تعالى وما يجب له
من إفراده بالسجود .

ومن أمثلة تواضعه ﷺ
ما يرويه ثابت البناني قال: كان
سلمان أميراً على المدائن، فجاء رجل
من أهل الشام ومعه حمل تبْنٍ وعلى

سلمان «أَنْدَرَا وَرْدٍ»^(١) وعباءة، فقال
لسلمان: تعال احمل ، وهو لا يعرف
سلمان، فحمل سلمان، فرآه الناس
فعرفوه فقالوا : هذا الأمير، فقال: لم
أعرفك، فقال له سلمان: لا، حتى
أبلغ منزلك، وفي رواية أخرى : إني
قد نويت فيه نية فلا أضعه حتى أبلغ

(١) يعني نوعاً من اللباس يغطي الركبة .

بيتك^(١) .

في هذا الخبر نوع نادر المثال
من التواضع من سلمان رضي الله
عنه ،فهو أولا وهو أمير على المدائن
عاصمة مملكة الفرس يلبس لباس
الفقراء حتى ظنه ذلك الرجل ممن
يحملون الأمتعة للناس فحمّله ما

(١) صفة الصفوة ١/ ٥٤٢ .

معه من التبئ، ثم بعد أن عرف ذلك
الرجل أنه الأمير واعتذر منه أبي إلا
أن يستمر حتى يوصله منزله لأنه
نوى في ذلك عملاً صالحاً لله تعالى
فكره أن يقطع ذلك العمل .

وما أبلغه من عمل يسهم فيه
فاعله في تثبيت خلق التواضع في
المجتمع !

وهكذا يصنع العطاء في إهانة
أنفسهم من أجل إشاعة الأخلاق

السامية وتربية المسلمين على
الخشونة والزهد .

وإنه لا يُقدَّر على هذا العمل
إلا من عظمت الآخرة في عينه إلى
الحد الذي أصبح لا ينظر معه إلى
الجاه الدنيوي ولا إلى انتقاد الناس
مادام واثقا من أنه يمثل الأخلاق
العالية في أسمى صورها.

ويذكر الحسن البصري رحمه
الله تواضع سلمان وهو أمير على

المدائن فيقول: كان عطاء سلمان
خمسة آلاف ، وكان على ثلاثين ألفا
من الناس يخطب في عباءة يفرش
نصفها ويلبس نصفها، وكان إذا
خرج عطاؤه أمضاه - يعني تصدق
به - ويأكل من سفيف يده رضي الله
عنه.

ويقول النعمان بن حميد :
دخلت مع خالي على سلمان بالمدائن
وهو يعمل الخوص ، فسمعتة يقول:

أشترى خوصا بدرهم فأعمله فأبيعه
بثلاثة دراهم، فأعيد درهما فيه،
وأنفق درهما على عيالي، وأتصدق
بدرهم، ولو أن عمر نهاني عنه ما
انتهيت^(١) .

يعني لو أن عمر رضي الله عنه أمره بترك
هذا العمل اليدوي والإنفاق على

(١) سير أعلام النبلاء ١/٥٤٧ .

عياله من العطاء لمافعل .

وإن هذا لنموذج فريد من
العناصر الزكية التي خلصها
الإسلام من جميع أنواع الغش
فعادت جوهرًا نقيًا صافيا من
الكدر.

وإن المتأمل ليقف مندهشا من
هذه القوة الجبارة التي تحمل سلمان
وأمثاله على إنفاق عطائهم من بيت
المال بالكامل، والأكل من بعض

عمل أيديهم وإنفاق بعضه الآخر .
إنهم لا يعملون حساباً
للإصابة بالأمراض أو كساد
الأسواق ونحو ذلك لأنهم قد
اكتفوا باليسير من المعيشة وعودوا
أنفسهم على ذلك وهذا النوع من
المعيشة يمكن بتوفيق الله تأمينه
بسهولة عند الاضطرار بخلاف من
يتوسعون في النفقات ويألفون حياة
الترف، فمن الصعب عليهم

النزول إلى العيش الضروري لأن
نفوسهم تحتاج إلى فترة من الزمن
حتى تألف على ذلك .

من مواقف أمير المؤمنين
عمر بن عبد العزيز رحمه الله
أخرج الحافظ أبو القاسم ابن
عساكر من خبر الحكم بن عمر
الرعيّني قال: رأيت عمر بن عبد
العزيز إذا صلى المكتوبة انصرف إلى
أهله لا يتطوع^(١)، وربما جلس فجاء

(١) أي لا يصلي السنة الراتبة في المسجد وإنما
يصليها في البيت لكون ذلك أفضل .

الغريب الذي لا يعرفه - وكان يقوم
من هذه الحلقة فيجلس مع هذه
الحلقة - يسأل عن أمير المؤمنين وفي
أي حلقة هو ! فيقف لا يدري أيهم
حتى يشار إليه : هذا أمير المؤمنين ،
فيسلم عليه بالخلافة^(١) .

وذكر الحافظ ابن الجوزي من
خبر الإمام الأوزاعي قال: كان عمر

(١) تاريخ دمشق ٤٥/٢١٠-٢١١ .

ابن عبد العزيز يجلس إلى قاصّ
العامّة بعد الصلاة ويرفع يديه إذا
رفع، ودخلت عليه ابنة أسامة بن
زيد رضي الله عنهما ومعها مولاة لها
تمسك بيدها، فقام لها عمر ومشى
إليها حتى جعل يدها في يده ويده
في ثيابه، ومشى بها حتى أجلسها في
مجلسه، وجلس بين يديها، وماترك
لها حاجة إلا قضاها^(١).

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز/ ١٤٦ .

فهذا الخلق من روائع الإمام
العادل عمر بن عبد العزيز رحمه الله
في التواضع، فهو لا يميز نفسه عن
العامة بلباس ولا مظاهر دنيوية.
ونجده يعامل ابنة أسامة بن
زيد رضي الله عنهما تلك المعاملة
الرفيعة الحانية تقديرًا لها ولوالدها
وجدها، لكونها من الصحابة رضي
الله عنهم، ولما لهما من مآثر جليلة في
خدمة رسول الله ﷺ والإسلام.

من مواقف أمير المؤمنين

هشام بن عبد الملك رحمه الله

من أخبار الولاة المتصفين

بالحلم والأناة ما ذكره الحافظ ابن

كثير عن أمير المؤمنين هشام بن عبد

الملك، حيث قال فيه : وكان فيه حلم

وأناة، شتم مرة رجلا من الأشراف

فقال أتشتمني وأنت خليفة الله في

الأرض؟ فاستحيى وقال : اقتص

مني بدلها - أو قال مثلها- فقال: إذا

أكون سفيهاً مثلك، قال: فخذ
عوضاً، قال: لأفعل، قال: فاتركها
لله، قال: هي لله ثم لك، فقال هشام
عند ذلك: والله لا أعود إلى مثلها^(١).
هذا مثل في الحلم والوقار،
وإذا كان هشام بن عبد الملك قد زل
لسانه بقول ما لا يحمد فإنه قد أنصف

(١) البداية والنهاية ٩/ ٣٦٦.

من نفسه بالاعتذار من الخطأ ، وهذا
دليل على تواضعه وعلو تفكيره
حيث قدم رعاية مكارم الأخلاق
على النظر إلى حظ نفسه ومجده
الديني .



من مواقف الإمام أحمد بن حنبل

رحمه الله

ذكر الحافظ الذهبي من خبر
صالح ابن الإمام أحمد قال: كان أحمد
إذا رأته تعلم أنه لا يظهر النسك،
رأيت عليه نعلا لا يشبه نعالي القراء
له رأس كبير معقد وشراكه مسبل،
ورأيت عليه إزارًا وجبة برد مخططة،

أي لم يكن بزّي القراء^(١) .

فهذا تواضع من الإمام أحمد
رحمه الله تعالى، حيث ترك اللباس
الخاص بالعلماء مع ما يترتب على هذا
اللباس من احترام الناس، وهذا
مدخل من مداخل العجب والخيلاء،
فاجتنب ذلك اللباس تواضعا وتحريا
لدينه .

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٢٠٧ .

من مواقف مطرف بن عبد الله

رحمه الله

أخرج الحافظ أبو نعيم

الأصبهاني من خبر ثابت البناني أن

مطرف بن عبد الله بن الشخير قال

لابن أبي مسلم: مامدحني أحد قط

إلا تصاغرت على نفسي^(١).

(١) حلية الأولياء ٢/١٩٨.

وهذا دليل على قوة إيمان
مطرف بن عبدالله رحمه الله ، حيث
غلب نفسه وحجّمها ومنعها من أن
تطمح نحو الجاه والشرف ، وهو
مثل جيد في التواضع المبني على قطع
موارد الكبرياء التي من أهمها
الإعجاب بالنفس .

من مواقف سعيد بن المسيب رحمه الله
من ذلك ما أخرجه الحافظ
أبونعيم من خبر كثير بن المطلب بن
أبي وداعة قال: كنت أجالس سعيد
ابن المسيب ففقدني أيامًا ، فلما جئته
قال: أين كنت؟ قال: توفيت أهلي
فاشتغلت بها، فقال: ألا أخبرتنا
فشهدناها، قال: ثم أردت أن أقوم
فقال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت:
يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك

إلا درهمين أو ثلاثة؟ فقال: أنا،
فقلت: أو تفعل؟ قال: نعم، ثم حمد
الله تعالى وصلى على النبي ﷺ
وزوجني على درهمين أو ثلاثة .

قال : فقمتم وما أدري ما
أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي،
وجعلت أتفكر ممن أخذ وممن
أستدين، فصليت المغرب وانصرفت
إلى منزلي، واسترحت، وكنت
وحدتي صائماً، فقدّمت عشائي أفطر

كان خبزاً وزيتاً، فإذا بآتٍ يقرع،
فقلت : من هذا؟ قال: سعيد ، قال:
ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا
سعيد بن المسيب ، فإنه لم يُرَ أربعين
سنة إلا بين بيته والمسجد، فقامت
فخرجت فإذا سعيد بن المسيب
فظننت أنه قد بدا له، فقلت: يا أبا
محمد ألا أرسلت إليّ فأتيك، قال: لا،
لأنت أحق أن تُؤتَى، قلت: فما تأمر؟
قال: إنك كنت رجلاً عزباً فتزوجت

فكرهت أن تبيت الليلة وحدك،
وهذه امرأتك ، فإذا هي قائمة من
خلفه في طوله، ثم أخذها بيدها
فدفعها بالباب ، وردَّ الباب فسقطتُ
المرأة من الحياء، فاستوثقت من
الباب ثم تقدمت إلى القصعة التي
فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل
السراج لكي لا تراه، ثم صعدت إلى
السطح فرميت الجيران، فجاءوني
فقالوا: ماشأنك؟ قلت: وَيُحْكَم

زوجني سعيد بن المسيب وهذه ابنته
اليوم وقد جاء بها على غفلة ، فقالوا :
سعيد بن المسيب زوّجك؟! قال :
نعم ، وهاهي في الدار ، قال : فنزلوا
هم إليها ، وبلغ أُمي فجاءت وقالت :
وجهي من وجهك حرام إن مسستها
قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام .

قال : فأقمت ثلاثة أيام ثم
دخلت بها فإذا هي من أجمل الناس ،
وإذا هي من أحفظ الناس لكتاب الله

وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ
وأعرفهم بحق الزوج .

قال : فمكثت شهراً لا يأتيني
سعيد ولا آتية ، فلما كان قرب الشهر
أتيت سعيداً وهو في حلقتة ، فسلمت
عليه فرد السلام ، ولم يكلمني حتى
تقوّض أهل المجلس ، فلما لم يبق
غيري قال : ما حال ذلك الإنسان ؟
قلت : خيراً يا أبا محمد على ما يجب
الصديق ويكره العدو ، قال : فإن

رأبك شوء فالعصاء؁ فانصرفت إلى
منزلي؁ فوجه إلى بعشرين ألف
درهم^(١) .

فهذا الخبر فيه مثل على طموح
عظماء الرجال نحو معالي الأمور؁
فحينما تسمو بالرجال نفوسهم يهون
عليهم كل ما تعرف الناس عليه من

(١) حلية الأولياء ١٦٧/٢ - ١٦٨ - وانظر سير
أعلام النبلاء ٢٣٣/٤ .

زخارف الدنيا وجاهها، ولا يصبح
أمامهم إلا هدف واحد يُسَخَّرُون له
كل ما في حياتهم من متاع وجاه، ألا
وهو ابتغاء رضوان الله تعالى والجنة .

فهذا الإمام الجليل سعيد بن
المسيب يخطب ابنته كبراء الناس -
كما جاء في روايات أخرى - فلا
يلتفت إلى ما يترتب على ذلك من
رفعة دنيوية في المال والجاه ، بل كان
الشيء الذي يهيمن على تفكيره هو

لزوم حماية ابنته من تلك المظاهر
الدينيوية.

من مواقف محمد بن سيرين رحمه الله
أخرج الحافظ أبو نعيم
الأصبهاني من خبر هشام بن حسان
قال: حدثني بعض آل سيرين قال:
مارأيت محمد بن سيرين يكلم أمه
قط إلا وهو يتضرع.
وأخرج أيضاً من خبر ابن عون
قال: دخل رجل على محمد وهو عند
أمه، فقال: ما شأن محمد أيشتكى
شيئاً؟ قالوا: لا ولكن هكذا يكون إذا

كان عند أمه ^(١) .

فهذا مثل من التواضع
للوالدين، وهو من أهم مجالات البر
بهما، ولقد بلغ ابن سيرين من إهانته
نفسه أمام أمه حداً أثر على قسما
وجهه حتى ظن من رآه أنه يشكو من
ألم، وهذا دليل على قوة إيمانه وشدة

(١) حلية الأولياء ٢/ ٢٧٣ .

تمسكه بأحكام الإسلام وآدابه .
كما أن هذا الخبر وأمثاله دليل
على عظمة الإسلام وقوة تأثيره على
النفوس، فهل كان أجداد ابن سيرين
-وهم على مجوسيتهم- يعاملون
أمهاتهم هذه المعاملة؟!
إن الواقع التاريخي يشهد بأن
هذا الرقي الأخلاقي لا يوجد إلا عند
المسلمين، وأن هذه القوة المؤثرة
لا توجد في غير الإسلام .



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٥	مواقف في التواضع
٧	أمثلة من تواضع النبي ﷺ
١٧	من مواقف أمير المؤمنين عمر ؓ
٢١	من مواقف أمير المؤمنين علي ؓ
٢٦	من مواقف عبد الله بن مسعود ؓ
٢٨	من مواقف عبد الله بن سلام ؓ
٣١	من مواقف أبي هريرة ؓ
٣٥	من مواقف عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

٣٨	من مواقف سلمان الفارسي <small>رضي الله عنه</small>
٤٩	من مواقف أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز
٥٣	من مواقف أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك
٥٦	من مواقف الإمام أحمد بن حنبل
٥٨	من مواقف مُطَرِّف بن عبد الله
٦٠	من مواقف سعيد بن المسيب
٦٩	من مواقف محمد بن سيرين
٧٣	فهرس الموضوعات